نزول القرآن الكريم

المؤلف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية 661 هـ - 728 هـ

آخر فصل من رسالة المؤلف بعنوان: فضائل القرآن

تحقيق وتعليق : سامي بن محمد بن جاد الله

دارالمحدث، الطبعة الثانية 1444 هـ - 2022 م

ملخص

في هذا الفصل ذكر المؤلف :

- صفة ابتداء نزول القرآن الكريم
- اليوم الذي ابتدئ رسول الله ﷺ فيه بالتنزيل
- الوقت الذي ابتدئ رسول الله ﷺ فيه بالتنزيل
- مذة نزوله علر رسول الله ﷺ
- آخر سورة أنزلت على رسول الله ﷺ
- آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ

وأحقُّ ما يُبدَأُ في مجلِسِ ابتدَاءِ تأويلِه صفةُ ابتداءِ نزولِه[١]:

ففي «الصَّحيحين»[٢] من حديثِ عائشةَ قالت: أوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من الوَحيِ الرُّؤيَا الصَّادقةُ، فكان لا يَرَى رُؤيا إلَّا جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبحِ، ثمَّ حُبِّب إليه الخَلاءُ، فكان يأتي حِرَاءَ، فيتحنَّثُ فيه- وهو التَّعبُّدُ[٣]- اللَّياليَ ذواتِ العددِ، ويتزوَّدُ لذلك، ثُمَّ يَرجِعُ إلى خَديجةَ، فتُزوِّده لمثلِها، حتَّى فجِئَه الحقُّ وهو في غارِ حِرَاءَ، فجاءَه المَلَكُ فيه، وقال: اقرَأْ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**فقُلتُ: ما أنا بقَارِئٍ**». قال: «**فأَخذَنِي فغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرسَلَنِي، فقال: اقرَأْ، فقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ**». قال: «**فأَخذَنِي فغَطَّنِي الثَّانيةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرسَلَنِي، فقال: اقرَأْ. فقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ**». قال: «**فأَخذَنِي فغَطَّنِي الثَّالثةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرسَلَنِي فقالَ:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتَّى بَلَغَ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]».

قالت: فرَجَعَ بها تَرْجُفُ بَوَادِرُه... وذكَرَ الحديثَ.

ففي الحديثِ بيانُ أوَّلِ ما نَزَلَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، كما قاله قَتادةُ، وأبو صالحٍ، وغيرُهما[٤]؛ وهو الصَّحيحُ، ولذلك استَحبَّ أحمدُ

---

(١) هذه الجملة هي التي فيها الإشارة إلى أن هذه الرسالة كُتِبت ليُلقِيَها المؤلِّفُ في مجلسه الذي ابتدأ به مجالسه في تفسير القرآن الكريم، كما سبق في مقدمة التحقيق، والله أعلم.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٩٨٢)، «صحيح مسلم» (١٦٠).

(٣) في رواية للبخاري (٤٩٥٣): «قال: والتَّحَنُّثُ: التعبُّدُ».
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧١٧): «هذا ظاهرٌ في الإدراج؛ إذ لو كان من بقية كلام عائشةَ لجاء فيه: «قالت»، وهو يحتمل أن يكونَ من كلام عروةَ، أو مَن دونه».

(٤) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٥٢)، «أنساب الأشراف» للبلاذري=

أن تُستفتَحَ بها التَّراويحُ أَوَّلَ ليلةٍ من شهرِ رَمَضانَ، ولعلَّ في ذلك أثرٌ[١].

ورُوِي عن جابرِ بنِ عبدِ الله: أنَّ أَوَّل ما نَزَلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، وقد أخرَجَا في «الصَّحيحين»[٢] من حديثِه، قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُحدِّثُ عن فَتْرةِ الوحيِ، فقال في [حديثه][٣]فبَيْنَما أنا أَمْشِي سمِعتُ صَوتًا منَ السَّماءِ، فرَفَعتُ رأسِي، فإذا المَلَكُ الَّذي جاءنِي بحِرَاءَ جالِسٌ على كُرسِيٍّ بينَ السَّماءِ والأرضِ، فجُئِثْتُ منه رُعبًا، فرَجَعتُ، فقُلتُ: زَمِّلونِي، زَمِّلونِي، فدثَّرُونِي، فأَنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾».

[ ][٤] الرِّوايةُ المشهورةُ بتقديم الهمزةِ على الثَّاءِ المثلَّثةِ، وقد رُوِي بثائينِ[٥]؛ أي: رُعِبتُ وفَرِقتُ، يُقالُ: رجُلٌ مَجثُوثٌ ومَجؤُوثٌ.

وهذا الحديثُ يُبيِّنُ أنَّ نزولَ «المدَّثِر» بعد نزولِ «اقرأ»؛ لأنَّه[٦] كان بحِرَاءَ، وهو موافقٌ للحديثِ الأوَّلِ.

= (١/ ١١٠)، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٢٧) فما بعدها، «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١).

(١) قال ابن مفلح في «الفروع» (٢/ ٣٧٤): «واستحبَّ أحمدُ أن يبتدئَ التَّراويحَ بسورة القلم-أي: سورة العلق، وهذا أحد أسمائها- لأنها أول ما نزل، وآخر ما نزل المائدة، فإذا سجد قام فقرأ من البقرة، والذي نقله إبراهيمُ بن محمد بن الحارث يقرأ بها في عِشاء الآخرة. قال شيخنا: وهو أحسن»، ونحوه في «الاختيارات» للبعلي (ص: ٩٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٢٥)، «صحيح مسلم» (١٦١).

(٣) في الأصل: (حديثها)، والتصويب من «صحيح البخاري».

(٤) بياض في الأصل، ويتضح من السياق أن الكلام عن كلمة (جُئِثْت) الواردة في الحديث.

(٥) أي: (فجئثت)، وكذا وقع عند مسلم في صحيحه (١٦١).

(٦) أي: نزول «اقرأ».

ورُوِي عن الحسنِ وعِكرِمةَ: أنَّ أَوَّلَ ما نَزَلَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ورُوِي في ذلك حديثٌ مرفوعٌ[١].

والأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لما تقدَّم.

* * *

وأمَّا اليومُ الَّذي ابتُدِئَ رسولُ اللهِ ﷺ فيه بالتَّنزيلِ: ففي «صحيحِ مسلمٍ»[٢] عن أبي قَتادةَ قال: سُئِل رسولُ اللهِ ﷺ عن صَومِ يومِ الاثنينِ؟ فقال: «**ذلكَ يومٌ وُلِدتُّ فيه، وأُنزِلَ عليَّ فيه**».

وأمَّا الوقتُ: فعن محمَّدِ بنِ إسحاقَ أنَّه قال: ابتُدِئَ بالوَحْيِ في شهرِ رَمَضانَ[٣].

وقيل: هو يومُ السَّابعِ والعشرينَ من رجَبٍ.

* * *

وأمَّا مُدَّةُ نزولِه على رسولِ اللهِ ﷺ:

ففي «الصَّحيحين»[٤] عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: أُنزِلَ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو ابنُ أربعينَ، وأقامَ بمكَّةَ ثلاثَ عَشْرةَ، وبالمدينةِ عشرًا، وتُوفِّي وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّينَ سَنةً.

فيكونُ أَمَدُ نزولِه نَحوًا من ثلاثٍ وعشرينَ سنةً.

---

(١) ينظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١، ١٩)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٢٢٣).

(٢) (١١٦٢).

(٣) «سيرة ابن إسحاق» (١٤٨).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٨٥١)، «صحيح مسلم» (٢٣٥١، ٢٣٥٣).

ورُوِي عن الشَّعبيِّ، قال: فَرَّق اللهُ القرآنَ، فكان بينَ أَوَّلِه وآخِرِه [عشرونَ][(١)] سنةً[(٢)].

ونحوُه عن ابنِ عبَّاسٍ[(٣)] وغيرِه.

وعن الحسنِ البصريِّ قال: ذُكِر لنا أنَّه بَيْنَ أوَّلِه وآخِرِه ثمانيَ عشْرةَ سنةً، أُنزِلَ عليه بمكَّةَ ثمانِيَ سنينَ، وبالمدينةَ عشرَ سنينَ[(٤)].

ولعلَّهما[(٥)] أرادا المُدَّةَ الَّتي حَمِي فيها الوَحْيُ وتتابَعَ، وإلَّا فالصَّحيحُ الأوَّلُ؛ لقولِ الجمهورِ.

* * *

وأمَّا آخِرُ سورةٍ أُنزِلتْ:

فروى مسلمٌ في «صحيحِه»[(٦)] عن ابنِ عبَّاسٍ؛ أنَّها سورةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وروى أبو إسحاقَ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ: أنَّها سورةُ «براءةَ»[(٧)].

وهما جميعًا من أواخرِ السُّورِ نُزولًا؛ فلذلك اشتبه الأمرُ.

* * *

---

(١) في الأصل: (عشرين)، والمثبت من المرجع.

(٢) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧).

(٣) أخرج ذلك النسائي في «السنن الكبرى» (٨١٣٢)، وابن جرير في «تفسيره» (٣/ ١٩٠).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبير» (١/ ١٩١)، وابن جرير في «تفسيره» (٣/ ١١٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧).

(٥) أي: الشعبي، والحسن. (٦) (٣٠٢٤).

(٧) «صحيح البخاري» (٤٣٦٤)، «صحيح مسلم» (١٦١٨).

وأمَّا آخِرُ آيةٍ نزَلتْ:

فروَى أبو إسحاقَ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ؛ أنَّها آيةُ الكَلالةِ الَّتي في آخِرِ «النِّساء»[(١)].

وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ وغيرِه؛ أنَّها قولُه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩] الآيتينِ[(٢)]. موافقةً لقولِ مَن قالَ: إنَّ آخِرَ السُّورِ نزولًا «براءة».

وروى البخاريُّ في «صحيحِه»[(٣)] عن ابنِ عبَّاسٍ قال: آخِرُ آيةٍ نزَلتْ على النَّبيِّ ﷺ آيةُ الرِّبَا.

كأنَّه يريدُ ما رُوِي عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ وأبي صالحٍ؛ أنَّها قولُه: ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١][(٤)].

* * *

(١) «صحيح البخاري» (٤٣٦٤)، «صحيح مسلم» (١٦١٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢١٢٢٦) من طريق أبي العالية، عن أُبَيِّ بن كعبٍ، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٣) من طريق ابن عباس، عن أُبَيٍّ، وصحَّحه.

(٣) (٤٥٤٤).

(٤) أخرجه همام في زوائده على «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٥١)، من طريق الكَلْبيِّ.
وأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٦٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٦٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٥٧)، من طرق عن ابن عباسٍ؛ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: هي آخِرُ ما نزل من القرآن.
وفي آخِرِ الأصل المخطوط: «آخِرُ كلام شيخ الإسلام أبي العباس تقيِّ الدين بن تيميَّةَ قدَّس اللهُ رُوحَه، ونوَّر ضريحَه، آمين».